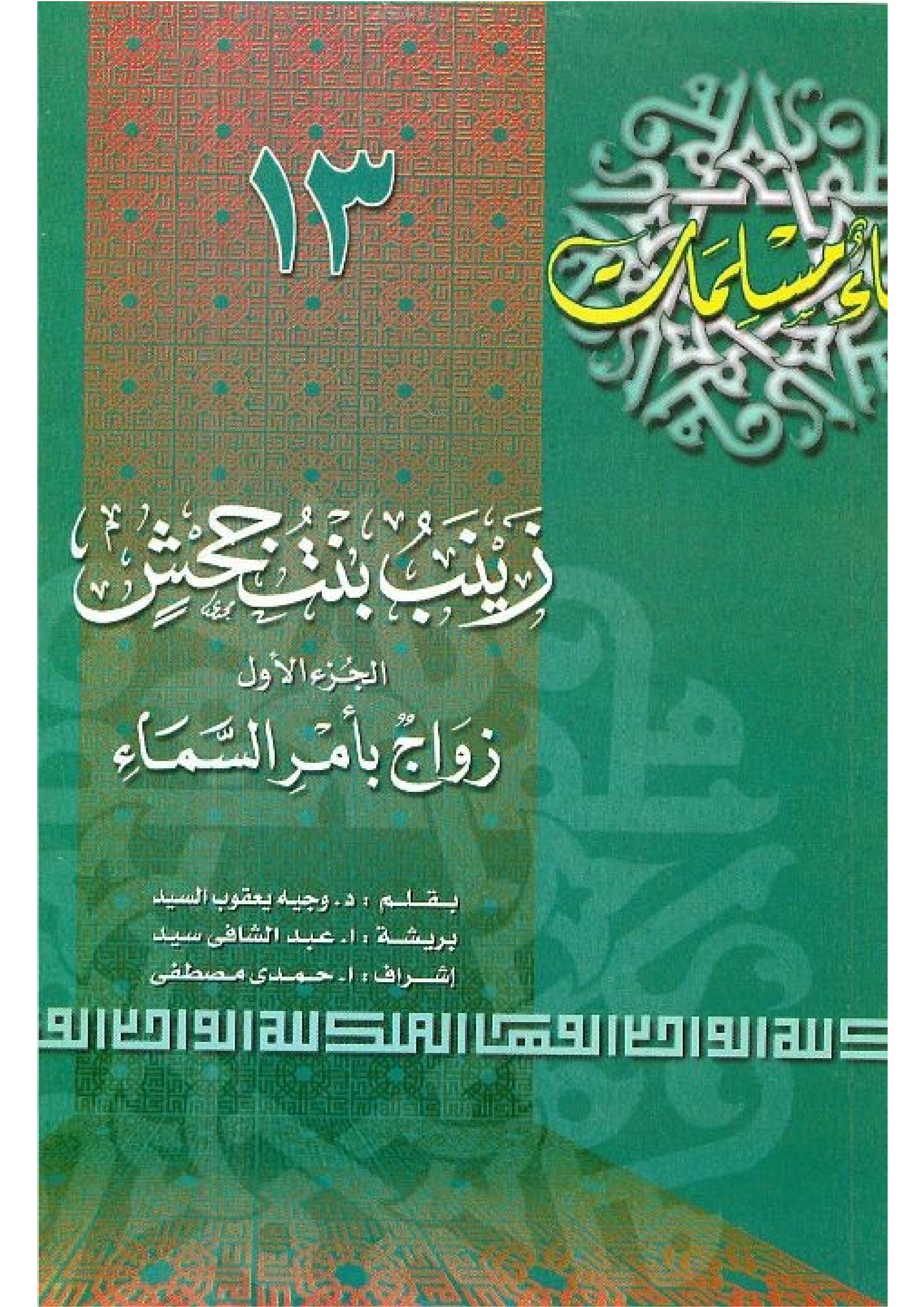

نساء مسلمات
١٣
زينب بنت جحش
الجزء الأول
زواج بأمر السماء
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافي سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى

كَانَتِ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ تَفْخَرُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَقُولُ :

ـ لَيْسَ مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ إِلا زَوَّجَهَا أَبُوهَا أَوْ أَخُوهَا أَوْ أَهْلُهَا ، أَمَّا أَنَا فَزَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ !

وَتَتْلُو عَلَيْهِنَّ قَوْلَهُ (تَعَالَى) :

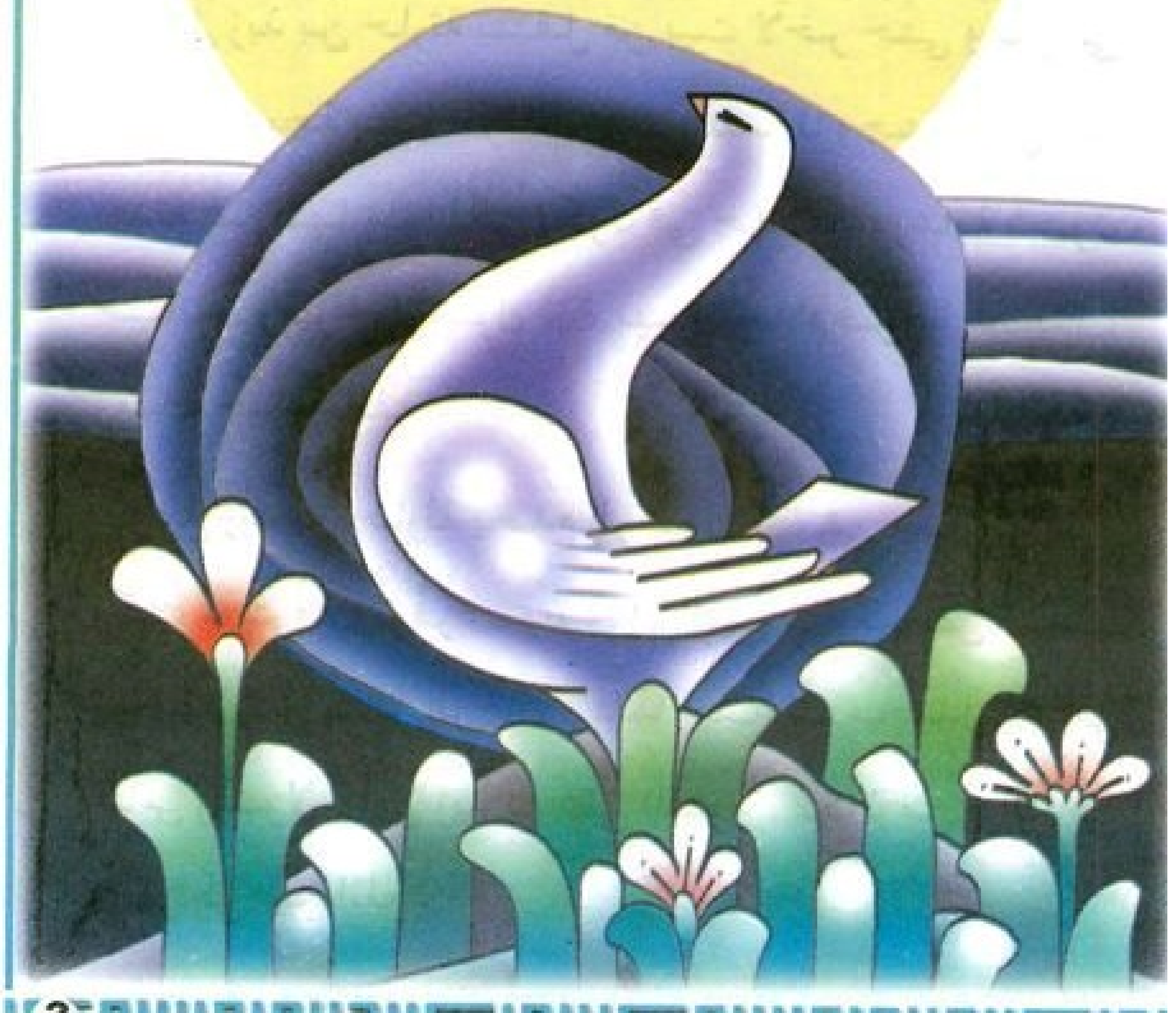
﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٧]

فَمَنْ تَكُونُ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ (تَعَالَى) رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا ؟ وَمَا الْحِكْمَةُ مِنْ هَذَا الزَّوَاجِ ؟

كَانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ تَنْتَمِي لِأُسْرَةٍ عَرَبِيَّةٍ عَرِيقَةٍ ، فَهِيَ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ الْمُضَرِي ، كَمَا أَنَّهَا بِنْتُ عَمَّةِ الرَّسُولِ ﷺ ، أُمُّهَا «أُمَيْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» ، وَكَانَتْ فَتَاةً جَمِيلَةً شَرِيفَةَ الْحَسَبِ ، كَمَا عُرِفَتْ بِالتَّقْوَى وَالْوَرَعِ ، وَاتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ .

زَوَّجَهَا الرَّسُولُ ﷺ مِنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ، وَكَانَ هَذَا الزَّوَاجُ لِحِكْمَةٍ ، لَكِنَّ الْعَلَاقَةَ الزَّوْجِيَّةَ لَمْ يُكْتَبْ لَهَا النَّجَاحُ ، بِسَبَبِ عَدَمِ التَّوَافُقِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ ، فَتَمَّ الطَّلَاقُ ، وَكَانَ ذَلِكَ لِحِكْمَةٍ أَيْضًا ، سُرْعَانَ مَا أَظْهَرَهَا اللَّهُ لِلنَّاسِ جَمِيعًا .

وَقَبْلَ أَنْ نَتَحَدَّثَ عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَزَوَاجِهَا مِن



الرَّسُولِ ﷺ ، يَجبُ أَنْ نُلِمَّ بِالظُّرُوفِ الَّتِي تَمَّ فِيهَا الزَّوَاجُ مِنْ زَيْدِ بنِ حَارِثَةَ ثُمَّ الطَّلَاقُ مِنهُ بَعْدَ مُدَّةٍ وَجِيزَةٍ .

كَانَتْ أُسْرَةُ زَيْدِ بنِ حَارِثَةَ أُسْرَةً عَرَبِيَّةً عَرِيقَةً ، وَبَيْنَمَا كَانَتْ أُمُّهُ فِي زِيَارَةٍ لِأَهْلِهَا وَمَعَهَا طِفْلُهَا الصَّغِيرُ زَيْد ، إِذْ أَغَارَ بَعْضُ قُطَّاعِ الطُّرُقِ عَلَى الأُمِّ وَابْنِهَا ، وَتَمَكَّنُوا مِنْ خَطْفِ الطِّفْلِ ، ثُمَّ بَاعُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي سُوقِ الرَّقِيقِ .

وَظَلَّ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَنْتَقِلُ مِنْ بَيْتٍ لِآخَرَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى بَيْتِ «خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها» ، فَلَمَّا تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ ﷺ أَهْدَتْهُ غُلَامَهَا زَيْدًا لِكَيْ يَكُونَ فِي خِدْمَتِهِ وَرِعَايَةِ شُئُونِ حَيَاتِهِ ، وَفَرِحَ الرَّسُولُ ﷺ بِهَذَا الْغُلَامِ فَرَحًا شَدِيدًا ، وَمَنَحَهُ حُبَّهُ وَعَطْفَهُ .

وَظَلَّ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَخْدُمُ الرَّسُولَ ﷺ فِي حُبٍّ وَتَفَانٍ ، وَكَانَ يَحْتَرِمُهُ وَيُوَقِّرُهُ ، وَيَرَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ شَخْصٌ مُتَمَيِّزٌ وَمُخْتَلِفٌ عَنْ سَائِرِ الرِّجَالِ ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَى النَّاسِ رَسُولًا ، آمَنَ زَيْدٌ بِهِ عَلَى الْفَوْرِ ، فَكَانَ مِنْ أَوَائِلِ مَنْ دَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ .

وَفِي أَحَـدِ مَـوَاسِمِ الْحَجِّ ، عَلِمَ أَهْلُ زَيْدِ بْنِ حَـارِثَةَ ، أَنَّ ابْنَهُمْ مَا زَالَ حَيًّا ، وَأَنَّهُ عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَذَهَبُوا إِلَيْهِ وَقَالُوا :

ـ يَا بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، يَا بْنَ سَيِّدِ قَوْمِهِ ، أَنْتُمْ أَهْلُ حَرَمٍ ، تَفُكُّونَ الْعَانِيَ الذَّلِيلَ ، وَتُطْعِمُونَ الأَسِيرَ ، وَقَدْ جِئْنَاكَ فِي وَلَدِنَا ، فَامْنُنْ عَلَيْنَا ، وَأَحْسِنْ فِي فِدَائِهِ !



فَقَالَ لَهُمْ ﷺ :

ـ ادْعُوا زَيْدًا ، وَخَيِّرُوهُ ، فَإِنِ اخْتَارَكُمْ فَهُوَ لَكُمْ بِغَيْرِ فِدَاءٍ . .
وَإِنِ اخْتَارَنِي ، فَوَاللَّهِ مَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَى مَنِ اخْتَارَنِي فِدَاءً .

فَانفَرَجَتْ أَسَارِيرُ الْقَوْمِ وَقَالُوا :

ـ مَا أَجْمَلَ قَوْلَكَ ، لَقَدْ أَنْصَفْتَنَا وَزِيَادَةً .

وَدَعَا الرَّسُولُ ﷺ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ ، وَأَخْبَرَهُ بِالأَمْرِ ، ثُمَّ تَرَكَ
لَهُ حُرِّيَّةَ الاخْتِيَارِ ؛ فَإِمَّا أَنْ يَبْقَى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَإِمَّا أَنْ
يَعُودَ مَعَ أَهْلِهِ .

وَدَمَعَتْ عَيْنَا زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَهُوَ يَرَى أَهْلَهُ لأَوَّلِ مَرَّةٍ ،
وَاحْتَضَنَ وَالِدَهُ وَعَمَّهُ وَإِخْوَتَهُ ، لَكِنَّهُ فَاجَأَ النَّاسَ بِقَوْلِهِ :

ـ وَاللَّهِ ، مَا أَنَا بِالَّذِي يُفَضِّلُ عَلَيْكَ أَحَدًا يَا سَيِّدِي ، فَأَنْتَ
بِمَكَانِ الأَبِ وَالْعَمِّ !

وَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ وَالِدُ زَيْدٍ :

ـ يَا زَيْدُ ، أَتَخْتَارُ الْعُبُودِيَّةَ عَلَى أَهْلِكَ وَقَوْمِكَ ؟!



فقال زيدٌ :

ـ إنّى قد رأيتُ من هذا الرّجلِ شيئًا ، وما أنا بالّذى أفارقُه أبدًا !

وفرحَ الرّسولُ ﷺ بهذا الموقفِ فرحًا شديدًا ، فقد كان يُحبُّ بقاءَ زيدٍ معه ، وخرجَ الرّسولُ ﷺ إلى الملأِ ونادى بأعلى صوته :

ـ اشهدوا أنّ زيدًا ابنى ، يرثُنى وأرثُه !

وأصبحَ زيدُ بنُ حارثةَ يُعرفُ بينَ النّاسِ بزيدِ بنِ محمّدٍ . . .

كَانَ هذَا الْمَوْقِفُ قَبْلَ بعْثِ مُحَمَّدٍ ﷺ بالإِسْلامِ ، فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ بالإِسْلامِ اتَّبعهُ زَيْدٌ ، فَازْدَادَ النَّبِىُّ ﷺ لَهُ حبًّا وتَقْدِيرًا .

وَأَرَادَ الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يُكَافِئَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَيَرْفَعَ مَكَانَتَهُ فَخَطَبَ لَهُ ابْنَةَ عَمَّتِهِ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ ، الْفَتَاةَ الْهَاشِمِيَّةَ الْحَسْنَاءَ .

وَذَهَبَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى بَيْتِ عَمَّتِهِ وَقَالَ لِزَيْنَبَ :

ـ لَقَدِ اخْتَرْتُ لَكِ زَيْدًا زَوْجًا . وَكَانَتْ زَيْنَبُ غَيْرَ رَاضِيَةٍ عَنْ هَذَا الزَّوَاجِ فَقَالَتْ :

ـ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لا أَرْضَاهُ لِنَفْسِى .

وَقَالَ أَخُوهَا عَبْدُ اللَّهِ :

ـ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ يَتَزَوَّجُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، مِنْ سَيِّدَةِ بَنَاتِ قُرَيْشٍ ؟!

فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ لِزَيْنَبَ :

ـ إِنِّى قَدْ رَضِيتُهُ لَكِ .

وَشَعَرَتْ زَيْنَبُ بِالْحُزْنِ وَالأَلَمِ ، وَظَلَّتْ تُرَاجِعُ الرَّسُولَ ﷺ

فِى هَذَا الزَّوَاجِ ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ (تعالى) قَوْلَهُ :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٦]

وَعِنْدَئِذٍ قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فِى اسْتِسْلَامٍ :

ـ قَدْ أَطَعْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ .



وتزوجت زينب بنت جحش في آخر الأمر وهي الفتاة الهاشمية ذات الحسب والنسب من زيد بن حارثة ، الذي كان يخدم الرسول ﷺ ، وامتثلت زينب لأمر الله ورسوله ، برغم ما كانت تعانيه من بغض لهذا الزواج . وسارت الحياة بين الزوجين في اتجاه غير صحيح منذ البداية ، فقد كانت زينب لا تحب زيدًا ، وحاول هو أن يتقرب إليها ويتألف قلبها ولكن دون جدوى ، فقد كرهت عشرته .

وأحس زيد بذلك ، فذهب إلى الرسول ﷺ وقال له :

ـ يا رسول الله ، إن زينب تغلظ لي في القول ، وتتعالى على بنسبها ، وبأنها سيدة نساء قريش .

وأضاف زيد قائلا :

ـ وقد عقدت العزم على فراقها . ونصحه الرسول ﷺ بالتريث والصبر ، عسى أن تتغير الظروف وقال له :

ـ أمسك عليك زوجك واتق الله !

والتزم زيد بنصيحة الرسول ﷺ ، وأرخى حبال الصبر عن

آخِرِهَا ،لَكِنَّهُ عَادَ يَشْكُو إِلَى الرَّسُولِ ﷺ اسْتِحَالَةَ الْعِشْرَةِ بَيْنَهُ وبين زوجته .

وَفِي تِلْكَ الأَثْنَاءِ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، يُخْبِرُهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ بَعْدَ انْقِضَاءِ عِدَّتِهَا ، وَذَلِكَ لِحِكْمَةٍ سَمَاوِيَّةٍ عَالِيَةٍ ، فَقَدْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُبْطِلَ عَادَةَ التَّبَنِّي .

وَكَتَمَ الرَّسُولُ ﷺ هَذَا الأَمْرَ فِي نَفْسِهِ ، وَلَمْ يُخْبِرْ بِهِ



أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، خَشْيَةَ أَنْ يَتقولَ علَيه أحدٌ ويَقُول :

ـ كَيْفَ تزوَّجَ مُحمَّدٌ مُطلَّقَةَ ابنِه ، وَقدْ حرَّمَ أنْ يتزوَّجَ الأبُ مُطلَّقَةَ ابنِه ؟

أَوْ يَقُولَ الْمُنافِقُونَ :

ـ إنَّ مُحمَّدًا كَانَ يَتَمَنَّى الزَّوَاجَ مِن مُطلَّقَتِه ...

ولَمَّا كتَمَ الرَّسُولُ ﷺ هَذَا الأمْرَ ، وَخَشِيَ مِنْ أَلسِنَةِ الْمُنافِقِينَ والْمُشْرِكِينَ ، أنزَلَ اللَّهُ (تعالَى) عَلَيْه قَوْلَهُ (عَزَّ وجَلَّ) :

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾

[سورة الأحزاب : ٣٧]

وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

ـ مَنْ يَذْهَبُ إِلَى زَيْنَبَ يُبَشِّرُهَا ؟

ـ فقالَ زَيْدٌ : أنَا يا رَسُولَ اللّهِ !

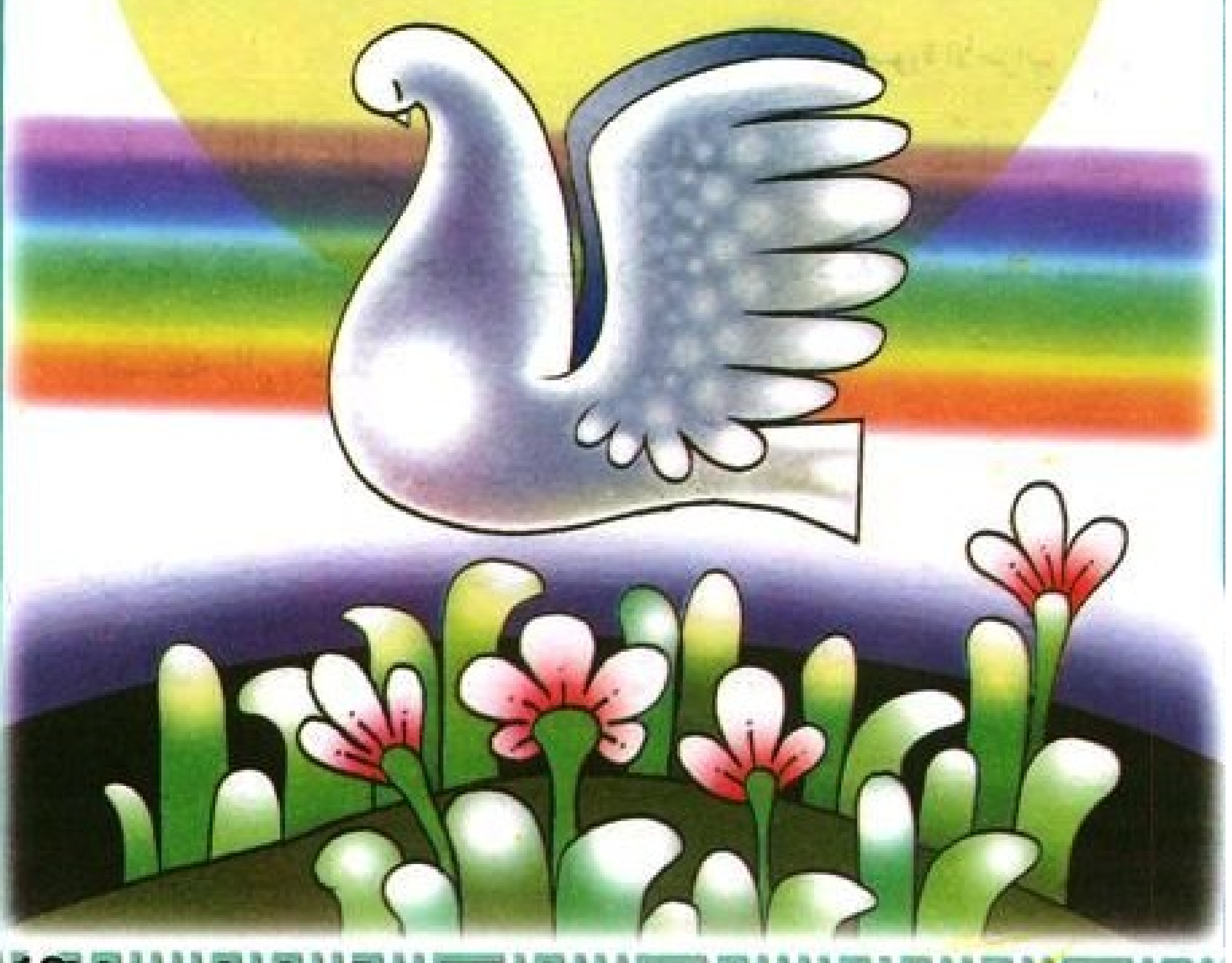
فَأَرْسَلَ الرَّسُولُ ﷺ زَيْدَ بن حَارِثَةَ وقَالَ لَهُ :

ـ اذْكُرهَا عَلَيَّ يا زَيْدُ .

فَانْطَلَقَ زَيْدٌ حَتّى أَتَى زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ فَقَالَ لَهَا :

ـ يَا زَيْنَبُ ، أَرْسَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يذْكُرُكِ .

ثُمَّ تَلا عَلَيْهَا ما أَنْزَلَهُ اللّهُ (تعالى) بِشَأْنِها . .



وَتَمَّ الزَّوَاجُ بِأَمْرٍ مِنَ اللَّهِ ، وَلَمْ يَجِدِ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ شَيْئًا ، غَيْرَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ انْتَهَزُوا هَذِهِ الْفُرْصَةَ ، وَرَاحُوا يَطْعَنُونَ فِي الرَّسُولِ ﷺ وَيَقُولُونَ :

ـ كَيْفَ يَتَزَوَّجُ مُحَمَّدٌ امْرَأَةَ ابْنِهِ ؟

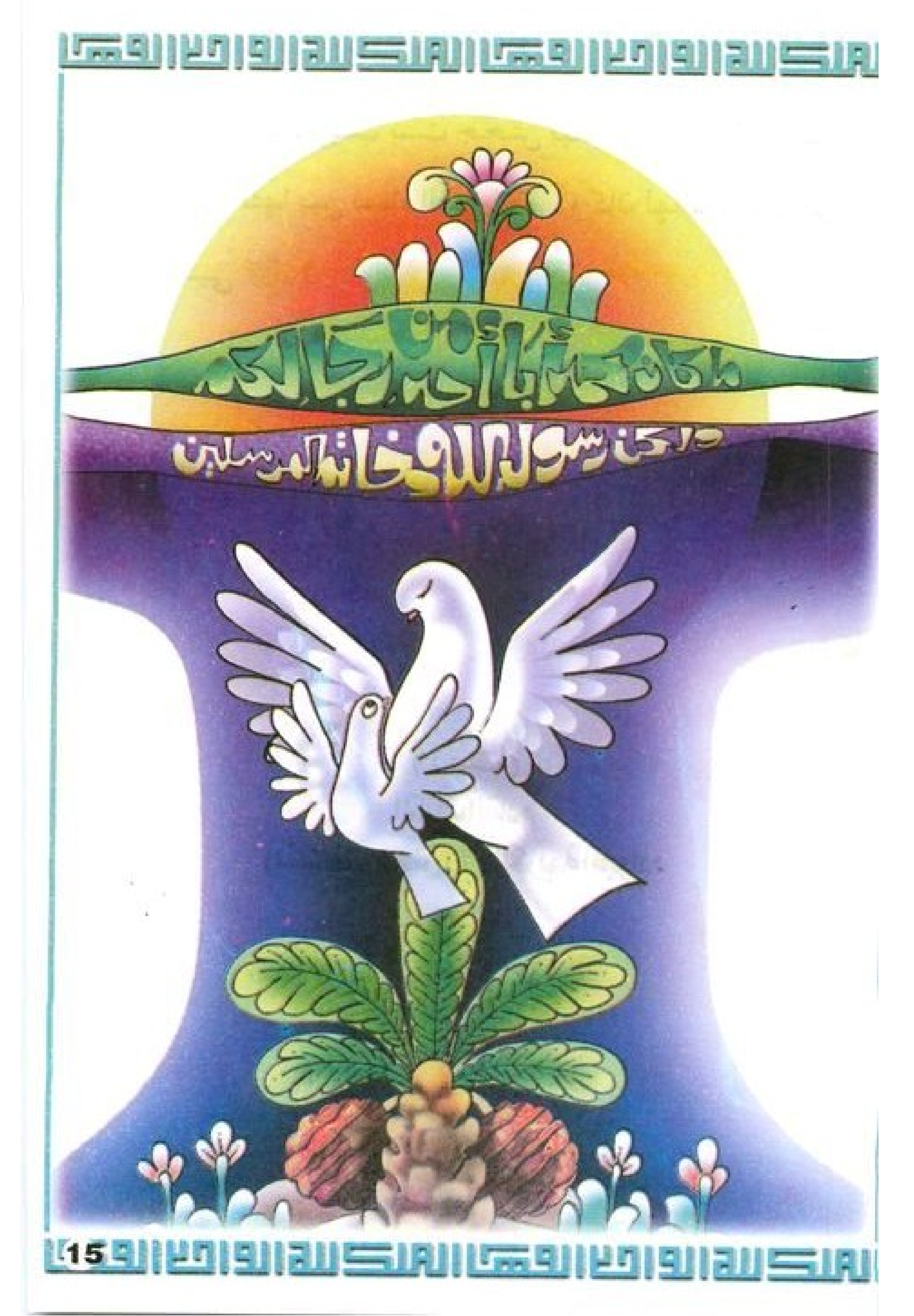
وَأَنْزَلَ اللَّهُ (تَعَالَى) قَوْلَهُ :

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾

[سورة الأحزاب : ٤٠]

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَى مَزَاعِمِ الْمُنَافِقِينَ ، فَزَيْدٌ لَيْسَ ابْنَ مُحَمَّدٍ ﷺ حَتَّى تَحْرُمَ عَلَيْهِ زَوْجَتُهُ ، وَلَكِنَّهُ ﷺ كَانَ يَتَبَنَّاهُ وَيَنْسُبُهُ إِلَى نَفْسِهِ ، ثُمَّ حَرَّمَ اللَّهُ التَّبَنِّي .

وَشَعَرَتْ زَيْنَبُ بِالإِعْزَازِ وَالتَّقْدِيرِ بِهَذَا الزَّوَاجِ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ، فَكَانَتْ تَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ ، وَتَشْعُرُ أَنَّ اللَّهَ كَافَأَهَا بِالزَّوَاجِ مِنْ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ بِسَبَبِ طَاعَتِهَا لأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَقَبُولِهَا الزَّوَاجَ مِنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ بِرَغْمِ بُغْضِهَا لَهُ وَكَرَاهِيَتِهَا لَهُ . .


ما كان محمد أبا أحد من رجالكم
ولكن رسول الله وخاتم المرسلين

وَمَا إِنْ دَخَلَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ بَيْتَ الرَّسُولِ ﷺ حَتَّى تَبَوَّأَتْ مَكَانَتَهَا بَيْنَ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَكَانَ لَهَا دَوْرٌ مُهِمٌّ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ !

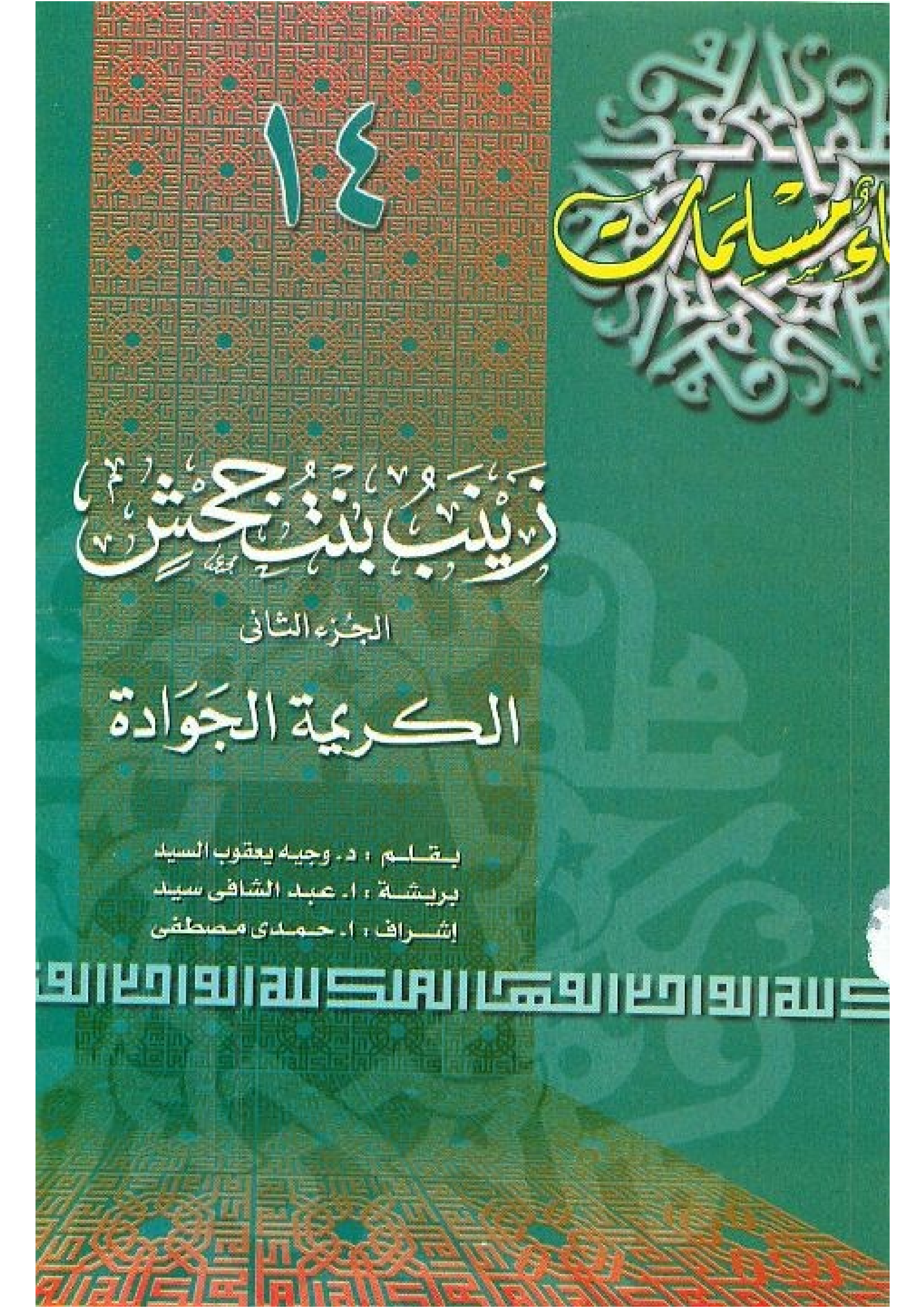
(تَمَّتْ)

الكتاب القادم

زينب بنت جحش (٢) الكريمة الجواده

رقم الإيداع : ٢٠٠١/١٥٩٤٨

الترقيم الدولى : X ـ ٦٨٨ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧

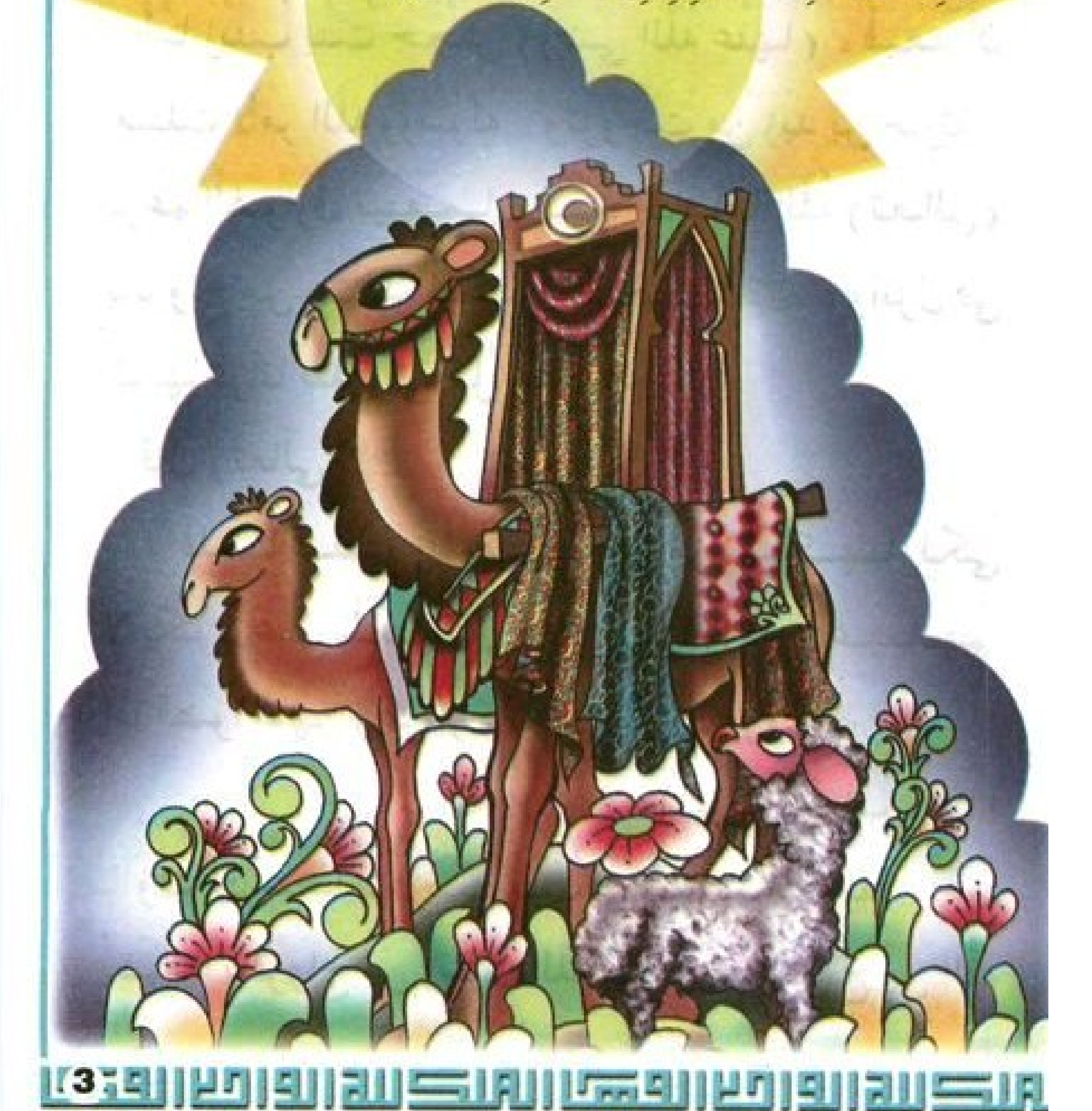

نساء مسلمات
١٤
زينب بنت جحش
الجزء الثانى
الكريمة الجوادة
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : أ. عبد الشافى سيد
إشراف : أ. حمدى مصطفى

تَزَوَّجَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ بِأَمْرٍ مِنَ السَّمَاءِ ، وَكَانَ ذَلِكَ لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُظْهِرَهَا لِلنَّاسِ .

فَقَدْ كَانَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ قَبْلَ الإِسْلَامِ أَنْ يَتَبَنَّوْا الأَبْنَاءَ وَيَنْسِبُوهُمْ لأَنْفُسِهِمْ ، وَكَانَ هَؤُلاءِ الأَبْنَاءُ بِالتَّبَنِّى يَحْمِلُونَ أَسْمَاءَ أَصْحَابِهِمْ ، وَيَرِثُونَهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ ، وَكَانَ هَذَا التَّبَنِّى يَتَسَبَّبُ فِى مَشَاكِلَ اجْتِمَاعِيَّةٍ كَثِيرَةٍ ، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَضَعَ حَدًّا لِهَذِهِ الظَّاهِرَةِ ، فَأَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ بِالزَّوَاجِ مِنِ امْرَأَةِ مُتَبَنَّاهُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ، وَذَلِكَ أَبْلَغُ فِى تَعْلِيمِ الْمُسْلِمِينَ أَحْكَامَ الدِّينِ الْجَدِيدَةِ ؛ لأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ قَدْ قَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ بِكَامِلِهَا .

وَقَدْ كَافَأَ اللَّهُ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَزَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ هُوَ الصَّحَابِىُّ الْوَحِيدُ الَّذِى وَرَدَ ذِكْرُهُ فِى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، يَتْلُوهُ الْمُسْلِمُونَ فِى كُلِّ

وَقْتٍ وَأَوَانٍ .. وَقَدْ وَرَدَ اسْمُهُ مُقْتَرِنًا بِإِنْعَامِ اللَّهِ (تَعَالَى) عَلَيْهِ ، حَيْثُ أَخْبَرَ اللَّهُ (تعالى) فِي هَذه الآيَةِ أَنَّهُ قَدْ أَنْعَمَ عَلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَرَضِيَ عَنْهُ ، وَهَذِهِ بُشْرَى بُشِّرَ بِهَا زَيْدٌ فِي حَيَاتِهِ مِنَ اللَّهِ (تَعَالَى) .



قَالَ (تَعَالَى) :

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ .. ﴾

[سورة الأحزاب : ٣٧]

أَمَّا زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا) ، فَبَعْدَ أَنْ امْتَثَلَتْ لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتَزَوَّجَتْ مِنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ، بِرَغْمِ الْفَوَارِقِ بَيْنَهُمَا ، فَقَدْ كَافَأَهَا اللَّهُ (تَعَالَى) بِالزَّوَاجِ مِنْ سَيِّدِ الْبَشَرِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَأَنْزَلَ فِى شَأْنِهَا قُرْآنًا يُتْلَى فِى كُلِّ زَمَانٍ ..

قَالَ (تَعَالَى) :

﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾

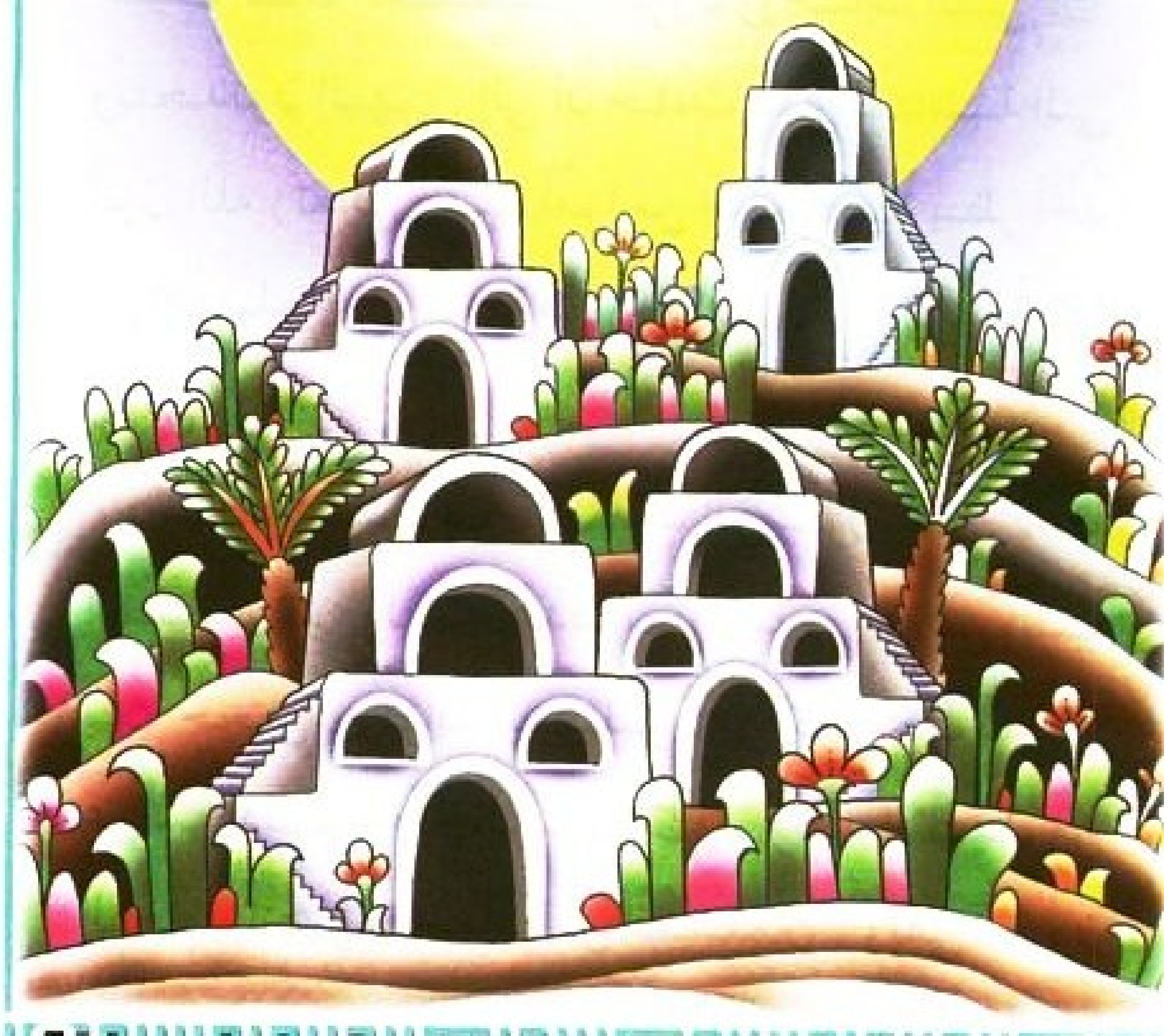
[سورة الأحزاب : ٣٧]

وَلِذَلِكَ سَجَدَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ شَاكِرَةً لِلَّهِ ، حِينَ بُشِّرَتْ بِالزَّوَاجِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِأَمْرٍ صَرِيحٍ مِنَ اللَّهِ

(تعالَى) مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سماواتٍ .

وَكَانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ تَقُولُ لِلرَّسُولِ ﷺ فِي فَخْرٍ :

- يَا رَسُولَ اللَّه ، إِنِّي وَاللَّه مَا أَنَا كَإِحْدَى نِسَائِكَ .. لَيْسَتِ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَائِكَ إِلاَّ زَوَّجَهَا أَبُوهَا أَوْ أَخُوهَا



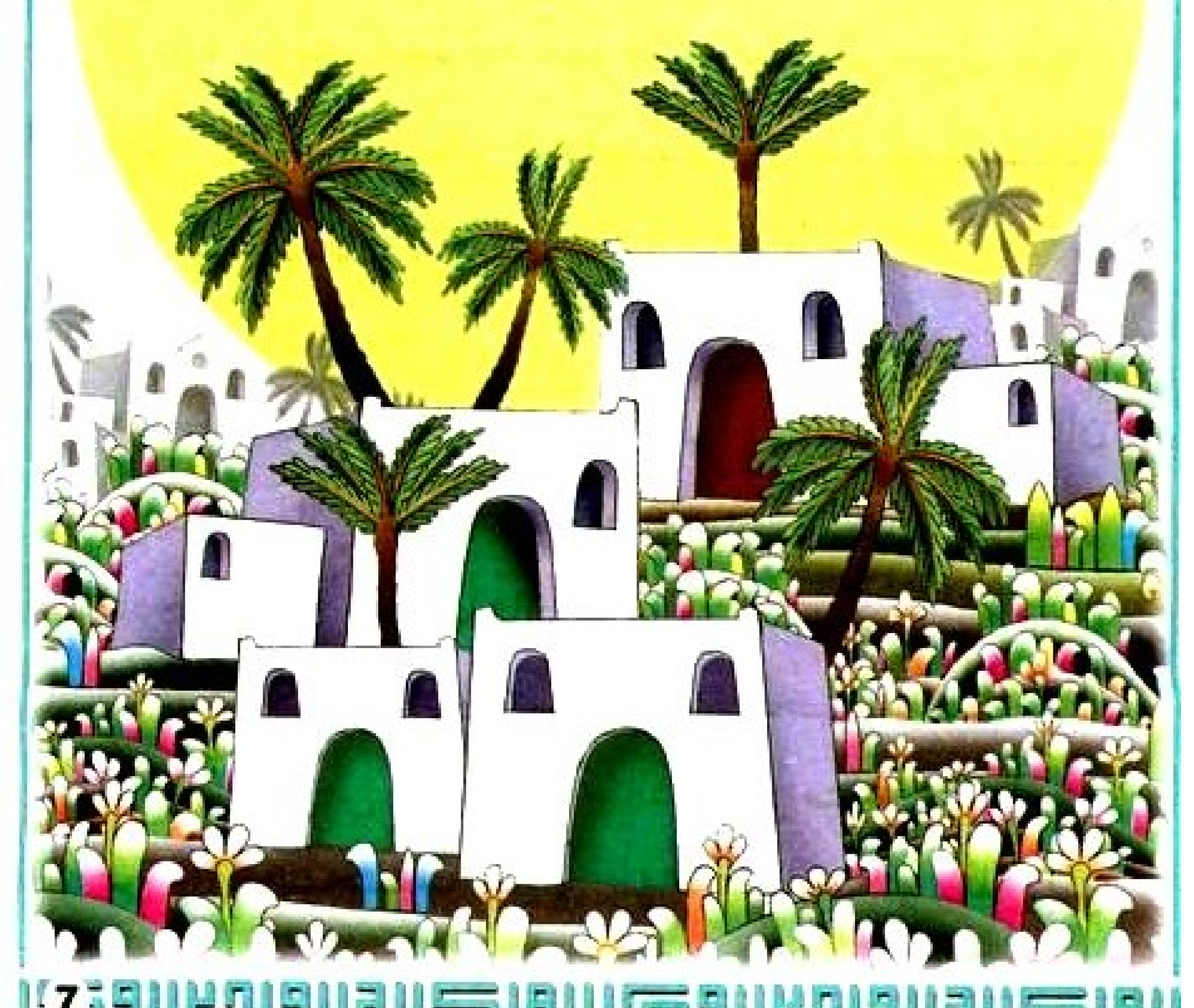
أَوْ أَهْلُهَا .. أَمَّا أَنَا فَقَدْ زَوَّجَكَ اللَّهُ مِنِّى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ .

وَبَدَأَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ حَيَاتَهَا الْجَدِيدَةَ فِي بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّتِي تَزَوَّجَتْ فِيهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَنْزَلَ اللَّهُ (تَعَالَى) حُكْمَ الْحِجَابِ ، حَيْثُ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَرَوْنَ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَيَتَحَدَّثُونَ إِلَيْهِنَّ ، إِلَى أَنْ جَاءَتْ هَذِهِ الْمُنَاسَبَةُ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ (تَعَالَى) فِيهَا أَمْرًا مِنَ السَّمَاءِ بِأَلاَّ يَنْظُرَ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى زَوْجَةٍ مِنْ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ وَأَلاَّ يُكَلِّمَهَا إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ .

وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ ، أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ ، دَعَا الْمُسْلِمِينَ إِلَى وَلِيمَةٍ أَعَدَّهَا بِمُنَاسَبَةِ زَوَاجِهِ مِنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ، وَتَوَافَدَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ تَعْبِيرًا عَنْ سَعَادَتِهِمْ بِزَوَاجِ الرَّسُولِ ﷺ ، وَبَعْدَ الانْتِهَاءِ مِنَ الطَّعَامِ ، انْصَرَفَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَبَقِيَ آخَرُونَ

حَتَّى وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنَ اللَّيْلِ ، يَتَحَدَّثُونَ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ .

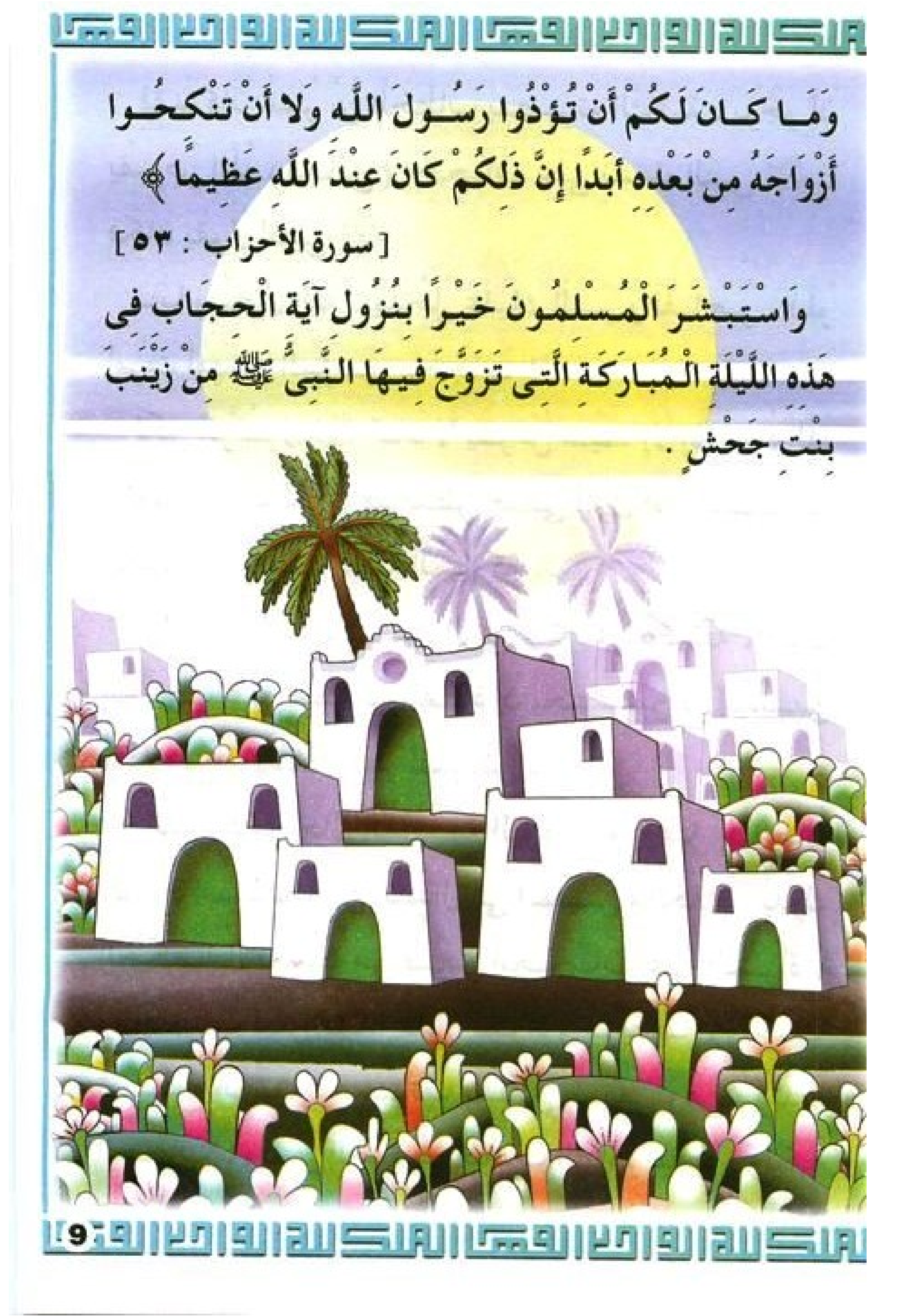
كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَشْعُرُ بِالإِرْهَاقِ وَالتَّعَبِ ، وَانْتَظَرَ أَنْ يَنْصَرِفَ هَؤُلاَءِ النَّاسُ ، حَتَّى يَخْلُدَ إِلَى الرَّاحَةِ ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا ، وَأَرَادَ الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يُشْعِرَهُمْ بِذَلِكَ ، فَأَخَذَ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ ، وَظَهَرَ عَلَى وَجْهِهِ



الضَّيقُ ، وبِرَغْمِ ذَلِكَ لَمْ ينصرِف هؤلاءِ ، بَلْ بقُوا يَتَحدَّثُونَ ويتحدَّثُونَ ، وكَانُوا في أثْنَاءِ حَديثِهِم يَنْظُرُونَ إلَى مَا فِي بيت النَّبِيِّ ﷺ ، ويتكلَّمُونَ فِي أُمورٍ تخصُّ النَّبيَّ ﷺ وأَهْلَهُ ، ولأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ شَديدَ الْحَيَاءِ ، فَقَدْ تحمَّلَ الأَمْرَ وسَكَتَ ، لَكِنَّ اللَّه (تَعَالَى) أَرَادَ أَنْ يُؤَدِّبَ الْمُسْلِمِينَ ويُعَلِّمَهُمْ آدابَ الزِّيارَة ، ويُعرِّفَهُم بِخُصُوصيَّة بَيْتِ الرَّسُولِ ﷺ ، فَأَنزلَ اللَّهُ (تَعَالَى) عَلَيْهِم فِي هَذِه الْمُنَاسَبَة مَا يُعَلِّمُهُمْ ذَلِكَ ..

قَالَ (تعالى) :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلاَ مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ



﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾

[سورة الأحزاب : ٥٣]

وَاسْتَبْشَرَ الْمُسْلِمُونَ خَيْرًا بِنُزُولِ آيَةِ الْحِجَابِ فِى هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِى تَزَوَّجَ فِيهَا النَّبِىُّ ﷺ مِنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ .

فَقَدْ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب بِبَصِيرَته الثَّاقِبَة ، يَرْجُو أَنْ يَفْرِضَ اللَّهُ (تَعَالَى) الْحِجَابَ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَكَانَ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ ﷺ :

- يَا رَسُولَ اللَّه ، يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، فَلَوْ أَمَرْتَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَاب !

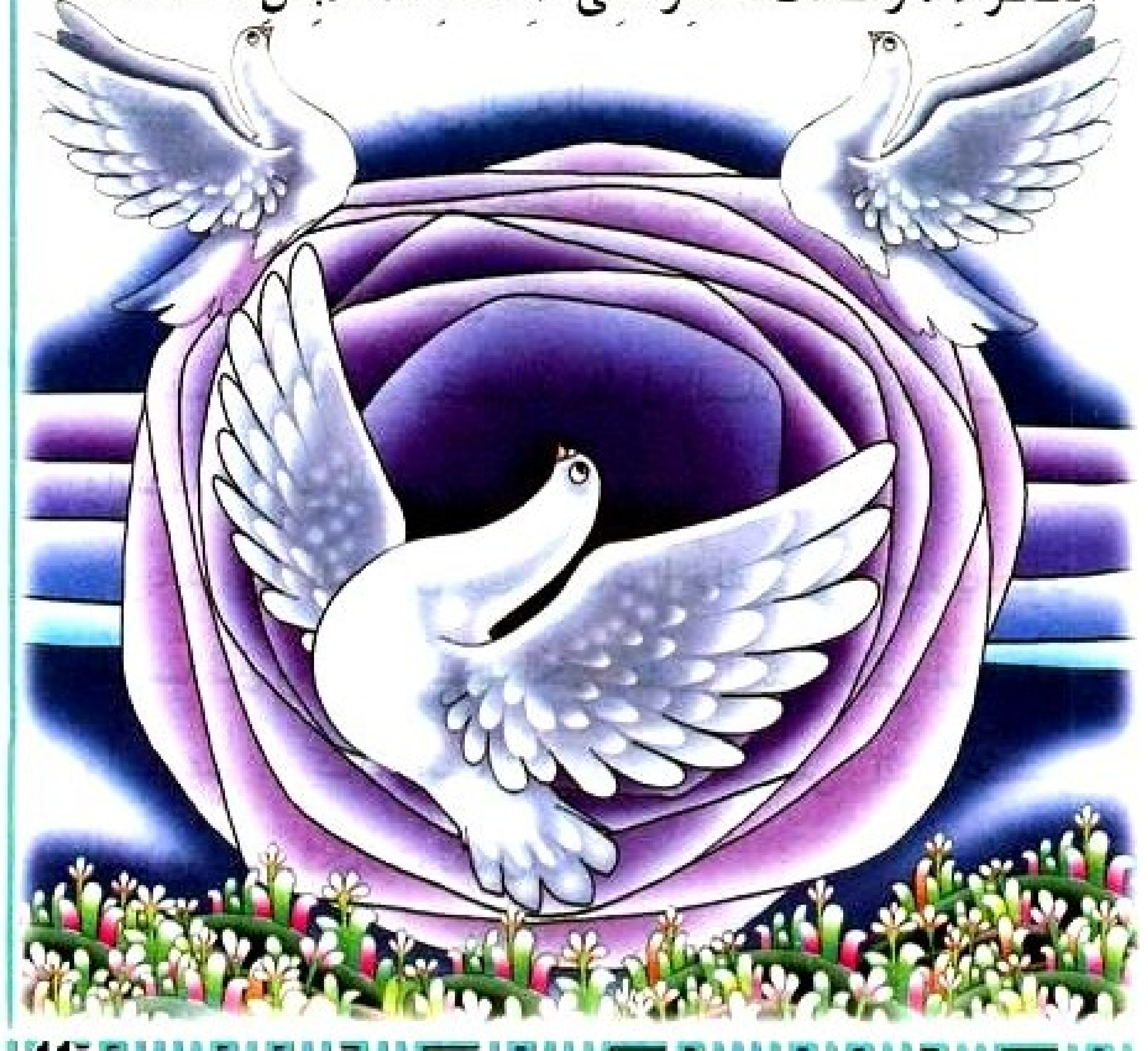
لَكِنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ لاَ يَفْرِضُ شَيْئًا إِلاَّ إِذَا أَمَرَهُ اللَّهُ (تَعَالَى) بِذَلِكَ ، فَانْتَظَرَ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ آيَةَ الْحِجَاب فِي تِلْكَ اللَّيْلَة الْمُبَارَكَة ..

وَلاَ شَكَّ أَنَّ لَنَا فِي نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أُسْوَةً حَسَنَةً ، حَيْثُ إِنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمَرْأَة وَالْفَتَاة أَنْ يَحْتَشِمْنَ فِي لِبْسِهِنَّ وَكَلاَمِهِنَّ ، فَذَلِكَ أَطْهَرُ لِقُلُوبِهِنَّ .

وَالَّذِي يَتَأَمَّلُ حَالَ الْمُجْتَمَعِ الْيَوْمَ ، وَمَا وَصَلَ إِلَيْه حَالُ الْمَرْأَة الْمُسْلِمَة مِنَ ابْتِذَالٍ فِي الْمَلْبَسِ وَالْكَلاَمِ ، يُدْرِكُ الْحِكْمَةَ الإِلَهِيَّةَ مِنْ فَرْضِ الْحِجَاب عَلَى الْمَرْأَة ؛ وَالْحِجَابُ لَيْسَ قَيْدًا عَلَى الْمَرْأَة وَحُرِّيَّتِهَا ، وَلَكِنَّهَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُمَارِسَ حَيَاتَهَا بِشَكْلٍ طَبِيعِيٍّ وَهِيَ مُرْتَدِيَةٌ الْحِجَابَ ، وَلَيْسَ الْحِجَابُ حِجَابَ الظَّاهِرِ فَقَطْ ، وَلَكِنَّهُ

حِجَابُ الْبَاطِنِ أَيْضًا ، حَيْثُ يَجِبُ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَكُونَ مُحْتَشِمَةً فِي جَوهَرِهَا ، كَمَا هِيَ فِي مَظْهَرِهَا ، وَهَذَا هُوَ مَا يُرِيدُهُ اللَّهُ (تَعَالَى) لَنَا ، حَيْثُ إِنَّ الْمُجْتَمعَ يَصِلُ بِذَلِكَ إِلَى بَرِّ الأَمَانِ .

وَاشْتُهِرَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ بِالنَّفَقَةِ وَالتَّصَدُّقِ عَلَى الْفُقَرَاءِ ، وَكَانَتْ مَاهِرَةً فِي صِنَاعَةِ الْمَلابِسِ ، فَكَانَتْ



تَتَصَدَّقُ بِثَمَنِهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ ، وَذَاتَ يَوْمٍ سَأَلَ نِسَاءُ النَّبِيِّ النَّبِيَّ ﷺ :

ـ أَيُّنَا أَسْرَعُ لِحَاقًا بِكَ يَا رَسُولَ اللَّه ؟

فَأَجَابَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ :

ـ أَطْوَلُكُنَّ يَدًا .

وَرَاحَتْ كُلُّ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ تَقِيسُ يَدَهَا ، وَلَمْ يَفْهَمْنَ مَاكَانَ يَرْمِي إِلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ إِلَّا بَعْدَ وَفَاتِه ، حَيْثُ كَانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ أَسْرَعَهُنَّ لِحَاقًا بِالرَّسُولِ ﷺ ، وَعِنْدَئِذٍ قَالَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ :

ـ لَقَدْ كَانَ ﷺ يَقْصِدُ بِطُولِ الْيَدِ : الْكَرَمَ وَالْجُودَ وَالتَّصَدُّقَ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ .

وَبَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ ، كَانَ الْخُلَفَاءُ مِنْ بَعْدِه يُعْطُونَ لِلْمُسْلِمِينَ رَوَاتِبَ سَنَوِيَّةً لِكَيْ يُنْفِقُوا مِنْهَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ ، وَكَانَ رَاتِبُ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَكَانَتْ تَقُولُ :

ـ اللَّهُمَّ لَا يُدْرِكُنِي هَذَا الْمَالُ مِنْ قَابِلٍ فَإِنَّهُ فِتْنَةٌ .

ثُمَّ تُوَزِّعُهُ عَلَى أَقَارِبِهَا وَعَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ ، وَعِنْدَمَا عَلِمَ عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ بِذَلِكَ ، ذَهَبَ إِلَيْهَا وَأَرْسَلَ بِالسَّلَامِ وَقَالَ لَهَا :

ـ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، بَلَغَنِي أَنَّكِ وَزَّعْتِ مَالَكِ عَلَى أَهْلِ رَحِمِكِ وَفِي أَهْلِ الْحَاجَةِ .

فَقَالَتْ :

ـ لَا يَبْقَى لِلْمَرْءِ بَعْدَ مَوْتِهِ إِلَّا دِرْهَمٌ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .



فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ :

ـ هَذِهِ أَلْفُ دِرْهَمٍ ، فَاسْتَبْقِيهَا لِنَفْسِكِ وَحَاجَتِكِ .

فَشَكَرَتْهُ زَيْنَبُ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَخَذَتْ مِنْهُ الْمَالَ ، ثُمَّ لَمْ يَطْلُعْ عَلَيْهَا النَّهَارُ إِلاَّ وَقَدْ تَصَدَّقَتْ بِهِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَلَمْ تُبْقِ لِنَفْسِهَا دِرْهَمًا وَاحِدًا ..

وَكَانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَثِيرَةَ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ ، تُدَاوِمُ عَلَى الذِّكْرِ وَالاسْتِغْفَارِ ، وَقَدْ شَهِدَ لَهَا بِذَلِكَ الرَّسُولُ ﷺ فَذَاتَ يَوْمٍ ، وَبَيْنَمَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يُقَسِّمُ الْغَنَائِمَ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ ، إِذْ تَكَلَّمَتْ زَيْنَبُ بِكَلَامٍ أَغْضَبَ الرَّسُولَ ﷺ ، فَانْتَهَرَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ لَهُ ﷺ :

ـ خَلِّ عَنْهَا يَا عُمَرُ ، فَإِنَّهَا أَوَّاهَةٌ !

وَظَلَّتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ صَوَّامَةً قَوَّامَةً ، تَخْشَى اللَّهَ (تَعَالَى) فِي كُلِّ أُمُورِهَا ، وَتَتَصَدَّقُ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ ، حَتَّى صَعِدَتْ رُوحُهَا إِلَى بَارِئِهَا فِي الْعَامِ الْعِشْرِينَ لِلْهِجْرَةِ .

وَحِينَ حَضَرَتْهَا الْوَفَاةُ ، لَمْ تَنسَ التَّصَدُّقَ عَلَى الْفُقَرَاءِ ، فِي تِلْكَ اللَّحَظَاتِ الصَّعْبَةِ ، الَّتِي يَنْسَى الإِنْسَانُ فِيهَا كُلَّ شَيْءٍ ، فَقَدْ قَالَتْ لِمَنْ حَوْلَهَا :

- إِنِّي قَدْ أَعْدَدْتُ كَفَنِي ، وَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، سَيَبْعَثُ إِلَيَّ بِكَفَنٍ ، فَتَصَدَّقُوا بِأَحَدِهِمَا ، وَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَتَصَدَّقُوا بِإِزَارِي فَافْعَلُوا .

وَصَلَّى عَلَيْهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَوَدَّعَهَا



الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَثْوَاهَا الأَخِيرِ بِالْبَقِيعِ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، وَقَالَتْ عَنْهَا عَائِشَةُ رضى اللَّه عنها :

ـ ذَهَبَتْ حَمِيدَةً مُتَعَبِّدَةً ، مَفْزَعَ الْيَتَامَى وَالأَرَامِلِ .

وَقَالَتْ عَنْهَا أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

ـ كَانَتْ صَالِحَةً قَوَّامَةً ، تَعْمَلُ بِيَدَيْهَا وَتَتَصَدَّقُ بِذَلِكَ كُلِّهِ .

رَحِمَ اللَّهُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَنَفَعَنَا بِسِيرَتِهَا الْعَطِرَةِ ، حَيْثُ عَاشَتْ فِى كَنَفِ النَّبِىِّ ﷺ صَوَّامَةً قَوَّامَةً مُطِيعَةً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ، مُحِبَّةً لِلْخَيْرِ وَالإِحْسَانِ .. وَلَعَلَّ أَفْضَلَ مَا نُوَدِّعُهَا بِهِ مَا قَالَتْهُ عَنْهَا السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا :

ـ وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِى الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ ، وَأَتْقَى لِلَّهِ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ وَأَعْظَمَ صَدَقَةً ، وَأَشَدَّ إِخْلَاصًا وَتَفَانِيًا فِى الْعَمَلِ الَّذِى تَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ ..

رَحِمَهَا اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً ، وَنَفَعَ نِسَاءَنَا وَبَنَاتِنَا بِسِيرَتِهَا الْعَطِرَةِ الزَّكِيَّةِ ، فَنِسَاءُ النَّبِىِّ ﷺ هُنَّ الْمَثَلُ الأَعْلَى لِكُلِّ النِّسَاءِ ، وَحَيَاتُهُنَّ مَلِيئَةٌ بِالْعِظَةِ وَالاعْتِبَارِ .. فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ؟!

(يتبع)

الكتاب القادم

جويرية بنت الحارث

رقم الإيداع : ٢٠٠١/١٥٩٤٨

الترقيم الدولى : X ـ ٦٨٨ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧